لكنهُ بقي من اغفلهم عن تعهّد حجرة اولادهِ وعن تفقد غذآئهم وانتظام اوقاتهِ. وترى الآخر وقد احترف الزراعة او تربية السائمة فصار من ادرى الناس بالسماد الاصلح لانماء الزرع واعلمهم بوجوب اعفاء ثورهِ من الحرث وكرب الارض على اثر تناولهِ العلف واعرفهم بتسمين العجول والحملان لكنهُ بقي من اجهلهم بوجوب اعفاء ولدهِ من الدرس وسائر الاعمال العقلية على اثر تناولهِ الطعام واقلهم معرفةً بالغذآء الاصلح لهُ

فان لمت احد هؤلآء الرجال على اهمالهِ من امر اولادهِ ما لا يهملهُ من امر أنعامهِ لم يعجز ان يقول لك ان تعهّد اسطبل الخيل ومذود البقر وحظيرة الغنم يعنيهِ لانهُ ان احسن القيام على الفرس احرز بهِ قصبات السبق في الميدان وان سمن العجول والحملان باعها باغلى الاثمان اما تربية ولدهِ فلا تعنيه بل هي من ولاية الأمّ او الخادمة. ولعلّ هذهِ الامّ لا تدري من امور الدنيا سوى التطريز او العزف على البيانو او التكلم بالافرنجية ولعلّ هذهِ الخادمة لا تعرف من امر تربية الاولاد سوى مزاعم واوهام تلقنتها من اهل طبقتها او من جارةٍ جاهلةٍ مثلها او اجهل منها الاّ ان هاتين المرأتين هما في نظر الاب اكثر كفآءةً منهُ واصلح لتربية ولدهِ

ستأتي البقية

البربر

اذا كان كلُّ علم انما يشرُف بشرف موضوعهِ فالعلم الذي يُبحَث فيهِ عن طبيعة الانسان من حيث هو مفردٌ في حالتيهِ الطبيعية والادبية او مجتمعٌ تألف من افرادهِ الشعوب في حالتي الهمجية والمدنية لا شك في انهُ اشرف العلوم. ولما كان هذا العلم كثير الثنايا والشعاب متوعر المسالك على الطلاب

لشدة غموض مسائله وصعوبة حلِّ مشاكله وكان المتأدبون من اهل هذا اللسان يحومون بافكارهم عليهِ فلا يجدون اليه سبيلا وربما حثَّ بعضهم اليهِ ركاب الطلب فاعتسف طريقهُ لانهُ لم يتخذ لهُ دليلا آثرنا الافاضة في ما ينفسح لهُ مجال البحث في هذا الموضوع المفيد وتوخينا اثبات الحقائق مجرَّدةً عن الاهواء ليكون كلامنا اوقع في نفس المستفيد فبدأنا ببيان اصل المصريين ونسبتهم الى غيرهم من السلائل البشرية واتينا على ذكر طرف من طباعهم واخلاقهم وعقائدهم وعوائدهم وأبنّا انهم يشتركون مع البربر في منشئهم من الفصيلة الساميّة فصار من اللائق بنا ان نستوفي البحث عن هذه الفصيلة ببيان طبائع هذا الجيل وما يفرَقون بهِ ويتميزون بحسبهِ من سائر الاجيال البشرية فنقول

البربر جيلٌ مقرُّهُ في شماليّ افريقيا او المغرب يشتمل على امم كثيرة ترجع الى اصلٍ واحد وان اختلفت في لغاتها ومعايشها وهذا الاسم استعملهُ الرومان واليونان قبلهم كما استعملهُ العرب للدلالة على الرطانة في الكلام واطلقوهُ على القبائل التي استقرّت من قديم الزمان في الاقطار الافريقية الواقعة بين بحر القلزم والاوقيانوس الاتلنتيك وبين البحر المتوسط الى نحو ١٠° من شمالي خط الاستواء ومنهم برابر نوبيا وصومال. ولعل هذه اللفظة مأخوذة من وَرْوَرَا في لغة قدماء الهند المعروفة بالسنسكريت وكانوا يطلقونها على ما ليس من لغتهم كما يطلق العرب العجمة على ما ليس بعربيّ. وزعم مؤرخو العرب ان اصل اللفظة عربيّ قال ابن خلدون ان افريقش بن قيس بن صيفيّ من الملوك التبابعة لما غزا المغرب سمع رطانة هذا الجيل من الاعاجم ورأى اختلافها وتنوعها فتعجب من ذلك وقال ما اكثر بربرتكم فسُمُّوا بالبربر. اما اسمهم القديم فهو مازيغ ومعناهُ السيد الحرّ او الشريف. قال شهاب الدين القاسميّ ان

رسل البرابرة لما مثلوا امام الخليفة عمر بن الخطاب بعد فتح مصر قالوا لهُ انهم من ابنآء مازيغ الذين كانوا اصحاب البلاد الواقعة بين خليج العرب والبحر المتوسط وقالوا انهم ينتسبون الى مازيغ بن كنعان بن حام . واختلفت رواية ابن خلدون في هذا الاسم فذكرهُ تارةً بلفظ مازغيس وطورًا بلفظ مازيغ وكان اليونان والرومان يطلقونهُ على المغاربة بتحريف قليل ويسمّى بهِ الآن الطوارئ والمراكشيون سكان جبل اطلس

وقد اختلف النسابون في اصل البربر فمنهم من قال انهم من ابنآء كنعان ابن حام رحلوا عن فلسطين بعد اجتياح العبرانيين لها في عهد داود عم وقال بعضهم ان النعمان بن حِمَير بن سبأ بعث قوماً من رجالهِ ليعمروا المغرب منهم يمانون ومُضَريّون وحِمَيريّون . واهل زناتة وصنهاجة ينتسبون الى حمير . وقال آخرون البربر قبائل شتى من حِمَير ومُضَر والقبط والعمالقة وكنعان وقيل انهُ كان لمضر ولدان الياس وعيلان فولد عيلان قيساً ودهمان وولد قيس اربعة بنين منهم بَرّ الذي رحل عن قومهِ وكانوا بالشأم فجآء الى فلسطين ثم ارتحل الى المغرب وولِد له مازيغ او مازغيس وكان يلقب بالابتر ومن ولدهِ زناتة وفيهِ تقول اختهُ تماضر

وشطَّت ببرٍّ دارهُ عن بلادنا ... وطوَّح برٌّ نفسهُ حيث يمَّما
وأزرت ببرٍّ لُكنةٌ اعجميةٌ ... وما كان برٌّ في الحجاز بأعجما
كأنا وبرًّا لم نقف بجيادنا ... بنجدٍ ولم نقسم نهابًا ومغنما

وانكر ابن خلدون ذلك وقال البربر معروفون في بلادهم واقاليمهم متميزون بشعارهم من الامم منذ الاحقاب المتطاولة قبل الاسلام وانهم من ولد كنعان ابن حام بن نوح وان اسم ابيهم مازيغ . والدليل على ان البربر لم ينشأوا في

افريقيا وانما رحلوا اليها من اواسط آسيا قبل الاسلام بعهدٍ عهيد ان لغتهم قريبةٌ من لغة الحبشة والقبط والغلاس وهذه اللغات ذات اصلٍ واحد وان في الهند أُمةً من البربر وفي بلاد فارس الاولى اقليماً كان يقال لهُ بربرستان فضلاً عن وجود البرابرة في جهات البحر الاحمر وفي وادي النيل مما يؤيد القول بانهم حطوا رحالهم حيث توجد بقايا نسلهم الآن . وفي بعض الروايات ان المصريين طردوهم حينئذٍ فارتحلوا الى المغرب وبقي منهم من بقي في اطراف وادي النيل والنُوبة وان البربر انفسهم ما زالوا ينتسبون الى كنعان بن حام كما قال رسلهم للامام عمر بن الخطاب وكما اثبت القديس اوغسطينس . ونقل بروكوبيوس كتابةً قديمة يتبين منها ان الفلسطينيين اجتاحوا شمالي افريقيا في العصور الخوالي

وقد اجتاح البربر امماً كثيرة في احقابٍ متوالية فامتزجوا بها ودانوا لها وتخلقوا باخلاقها والفوا عوائدها الا الذين اعتصموا بالجبال منهم فاستمروا مستقلين في تلك المعاقل الطبيعية الحصينة كغيرهم من المردة . وهذه الامم هي الفينيقيون واليونان والوندال والرومان والعرب والترك . ومن الثابت ان العرب كانوا اكثر تأثيراً في تغيير اخلاق البربر من جميع الامم الذين اجتاحوا بلادهم فقد امتزجوا بهم ونشروا بينهم عقائد الدين المحمدي فتمسكوا بهِ منذ بداءة القرن الاول للهجرة وتمكنت اللغة العربية من السنتهم حتى صاروا لهذا العهد امةً يتوهمها كثيرون من العرب الخُلَّص فيقولون عرب الجزائر وعرب مراكش وعرب طرابلس وعرب تونس . وقد ثبت الآن أن العنصر الاصلي انما هو البربر لا العرب وان هؤلاء انما كانوا دخلاء على اولئك في افريقيا فلم يؤثروا الا في سكان السهول والمدن منهم وانما كان هذا التأثير مقصوراً على الدين واللغة على انهم كانوا اسرع

الى الارتداد ولذلك هجاهم احد المغاربة بقوله

رأيت آدم في نومي فقلت لهُ أبا البرية ان الناس قد حكموا
أنّ البرابر نسلٌ منك قال اذًا حوّآء طالقةٌ ان كان ما زعموا

وقالوا ان في هضاب جبل اطلس الى الجهة الجنوبية سُلالةً من البربر لم تمتزج اصلاً بغيرها من الامم التي اجتاحت افريقيا من قديم الزمان حتى الآن الا انها اختلطت بالزنج واهل سَنَغال فتغيرت سحناتها وغلب السواد على لونها · ومن الغريب أن في البربر قومآ يمتازون بلونهم الابيض المُشرِق المترقرق بمآء الجمال وبشعرهم الاشقر الحريري الطويل وعيونهم الزرق الفتانة وهم ليسوا من ابنآء هذه الايام ولكنهم

وُجدوا ثمة كذلك منذ الاحقاب المتقادمة فقد وُجد مثالهم في الصوَر المصرية المرسومة على الهياكل من القرن الخامس عشر الى الثالث عشر ق م · واثبت بعض المحققين ان امةً خرجت من اوربا في القرن العشرين ق م ومرت باسبانيا وجبل طارق حتى انتهت الى الجزائر وتونس فاجتاحتهما واقامت هناك رضاماً لم تزل باقية الى الآن · والتَمهو عند قدمآء المصريين يمثلون هذه السلالة الآرية

(انظر صفحة ٨ من الجزء الاول ش ١)

والحاصل أن البربر الآن مؤلفون من عناصر مختلفة غلب عليها العنصر الساميّ فهم يمتازون به في سحناتهم وملامحهم وتقاطيعهم وعوائدهم وأخلاقهم على ان لونهم اصفى من لون العرب واجسادهم اكبر ووجوههم اقلّ بيضيةً وانوفهم اعرض واضخم وذقونهم اشدّ شخوصاً وجباههم اقل تسطحاً واستواءً فهم لذلك اشبه بفلاحي اوربا من الساميين. والطوارئ منهم اكثر شبهاً بالاوربيين مع انهم من البادية خلافاً للقبائل فهم حضر. وفي طباعهم الاكباب على العمل والاجتهاد والاقتصاد والنظر في العواقب فلا ترى في بلادهم ارضاً بوراً بل كثيراً ما تراهم يفرشون الصخور بالتراب ليزرعوها ولذلك كانت بلادهم عامرة كثيرة الدساكر والقرى ومعدل السكان ٨٠ في الكيلومتر المربع خلافاً للبلاد التي تغلّب فيها الدم العربي فهي على الجملة غامرة لان العرب اكثر ميلاً الى البداوة والغزو. والعرب لا يهتمّون بما للغد ويقنعون بالكفاف اما البربر فيذخرون على الغالب مؤونتهم بما يكفيهم سنةً وسنتين والاكثار من الزوجات غير شائع عندهم فلا يتزوج الواحد منهم باكثر من امرأة الا فيما ندر ولذلك كانت النساء عندهم مكرّمات غير ممتهنات ولا ذليلات يشاركنَ ازواجهنَّ في السرّاء والضرّاء ويضارعنَ الاوربيات في الأنفة والحرّية

ومن الغريب ان هذه السلالة المنتشرة في ارض فسيحة الارجاء ليس لها من المفاخر ما تُذكَر به فأهلها موصوفون بالبسالة والاقدام وهم مغلوبون على امرهم من قديم الزمان حتى الآن ومعروفون بالحذق والاجتهاد والدأب في العمل وليس لهم تجارةٌ ولا صناعة ولا فنون يضاهون بها الامم الراقية في سلم المدنية وذلك لتشتتهم واختلاف منازعهم واستقلال كل قبيلة بامرها واستحكام العصبية بينهم وتوفر اسباب الخصام والعداء بين العشائر على نزق طباعهم وجفاء

اخلاقهم وطيش احلامهم فربما تخاصم اثنان منهم على انتجاع قطعةٍ من الكلإ فثارت ثائرة الفتنة وعم البلاء الاحزاب ولذلك كان كل فريق منهم يتحين الفرصة للايقاع بالآخر ولو كان لهم جامعة وطنية ونظر في احكام صلات الاخاء على ما تقتضيهِ مصلحة بلادهم لكانوا اول الامم في ارتقاء معارج المدنية واسبقهم الى الحضارة والعمران

اما عددهم فلا سبيل الى تقريرهِ بالتدقيق وأقرب ما جاء فيهِ ان البربر في الجزائر وحدها يبلغون نحو مليونين منهم ٩٠٠٠٠٠ يتكلمون باللغة البربرية والمراكشيون يبلغون ستة ملايين منهم خمسة ملايين من البربر . وسكان تونس وطرابلس الغرب والصحراء يبلغون مليوناً على الاقل . فجملة البربر على التقريب ٩ ملايين منهم زهاء ثلاثة ملايين مستعربون والله اعلم

التلقيح في السل الرئوي

لقد ذاع في هذه الايام خبر استنباط الاستاذ كوخ الشهير العلاج الشافي من السل الرئوي وهو الخبر الذي نشترك في نشرهِ مع غيرنا من اصحاب الجرائد والمجلات مستبشرين بتحقيق امانيّ الاستاذ المشار اليهِ بعد ان كاد ينقطع الامل من نجاحهِ في هذا الامر الخطير الا انهُ لما كان شأننا في تقرير مثل هذه الامور غير شأن الأخباريين وكان قرّاء مجلتنا يتوقعون منا ان نوافيهم ببيان الحقائق العلمية والعملية مجردةً عن المبالغة خاليةً من الخطل في النقل تحرينا مقالة الاستاذ كوخ نفسهِ التي نُشرت في ١ ابريل الحالي في المجلة الطبية الالمانية[1] وهي المجلة التي نشر فيها تقاريرهُ السابقة فلخصنا منها ما تهمّ

[1] Deutsche medicinische Wochenschrift